التناسب بين الكلمة والسياق
في النظم القرآني
دراسة تحليلية لآيات الإبل

د. منيرة بنت مرعي بن راشد الزهراني
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

التناسب بين الكلمة والسياق في النظم القرآني دراسة تحليلية لآيات الإبل

منيرة بنت مرعي بن راشد الزهراني
قسم البلاغة والنقد، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Dr.munerah@gmail.com

ملخص البحث: يسعى هذا البحث الموسوم بـ التناسب بين الكلمة والسياق في النظم القرآني دراسة تحليلية لآيات الإبل) إلى بيان قيمة الكلمة في البيان العربي، و– تحديدا – التطبيق على آيات من القرآن الكريم اختصت بذكر (الإبل) أنفس ما يملك العربي منذ أن تعايش مع بيئته التي لا يخفى ما فيها من قساوة ، ولم تأخذ الإبل هذه المنزلة عند العرب إلا لما كان لها من صفات معينة على التعايش مع هذه الظروف القاسية. وقد أخذت هذه الدراسة بتتبع مواطن ذكر الإبل على اختلاف مسمياتها وصفاتها لتكون مدونة للتطبيق على هذه الدراسة التي عنيت ببيان قيمة الكلمة في السياق ، وبيان قيمتها وجمالها، أما بالنسبة لمنهج البحث فهو المنهج الوصفي وأداته التحليل، وقد قام البحث على مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ، وأهدافه ، والدراسات السابقة له ، ومخطط البحث ، ومنهجه، يليها مدخل للموضوع عنوانه مكانة الإبل عند العرب ، واختلاف مسمياتها ، يلي التمهيد مبحثين الأول منهما يتحدث عن التناسب بين الكلمة والسياق (الجانب النظري) ، ويشتمل على بلاغة الكلمة في البيان العربي، و بلاغة الكلمة في البيان القرآني ، والمبحث الثاني يتناول التناسب بين الكلمة والسياق (الجانب التطبيقي) ، ويختم البحث بخاتمة مشتملة على أبرز نتائج البحث ، ثم فهرس بقائمة مصادر البحث ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: الإبل، السياق، الكلمة، البلاغة ، التناسب، القرآن، التساوق.

Correlation between word and context in Quranic systems An analytical study of camel verses

Munira bint Marei bin Rashid Al-Zahrani
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arts, Princess Noura bint Abdul Rahman University, Kingdom of Saudi Arabia.
Dr.munerah@gmail.com :**Email**

Abstract: This research, which is titled by "the proportionality between the word and context in the Qur'anic systems, an analytical study of the verses of camel" seeks to indicate the value of the word in the Arabic statement, and the application of verses from the Holy Qur'an specialized in mentioning (camels). Camels have been the manifest thing that the Arab has it since he lived with his environment, which is not hidden in its cruelty, and did not take camels this status in the Arabs only because they had certain qualities to live with these harsh conditions. This study has taken the track of the citizen mentioned camels in different names and recipes to be a blog to apply to this study, which was concerned with stating the value of the word in context, and the statement of its value and beauty, but for the approach of research is the descriptive approach and its analytical tools, and the research was based on an introduction in which it mentioned the importance of the topic, the reasons for its selection, its objectives, the research plan, and its approach, a prelude to the topic entitled the place of camels in the Arabs, and the difference of its names, followed by the first two preface. It talks about the proportionality between the word and context (theoretical aspect), and includes the eloquence of the word in the Arabic statement, the eloquence of the word in the Qur'anic statement, and the second topic deals with the proportionality between the word and context (the practical aspect), and concludes the research with a conclusion containing the most prominent search results, and then an index of the list of search sources and reference.

Key words: camels, context, word, rhetoric, proportionality, Quran, symmetry.

مُقَدِّمَة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل ((**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)) فصلت"٥٣"

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

حمل موضوع هذا البحث عنوان " التناسب بين الكلمة والسياق في النظم القرآني دراسة تحليلية لآيات الإبل ، وسعى إلى بيان قيمة الكلمة في البيان العربي وتحديدا التطبيق على آيات من القرآن الكريم اختصت بذكر "الإبل" أنفس ما يملك العربي منذ أن بدأ بالتعايش مع بيئته التي لا يخفى ما فيها من قساوة، ولم تأخذ الإبل هذه المنزلة إلا لما كان لها من صفات معينة على هذه الظروف القاسية ، وقد أخذت هذه الدراسة بتتبع مواطن ذكر الإبل على اختلاف مسمياتها وصفاتها لتكون مدونة للتطبيق على هذه الدراسة التي عنيت ببيان قيمة الكلمة في السياق القرآني.

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع:

١- كون الإبل أنفس ما يملك العربي ، ومعرفة سر دعوة القرآن إلى التفكر في خلقه دون سائر الحيوانات.

٢- رغبة الباحث في أن تكون آيات الإبل في القرآن الكريم مادة تطبيقية لبيان التساوق بين الكلمة والسياق.

أهداف البحث:

١- إثراء المكتبة العربية ببحث، يبرز الفروق الدقيقة والبصمات المتفردة بين كلمات البيان الخالد.

٢- إظهار الفروق الدقيقة بين مسميات الإبل الواردة في القرآن.

الدراسات السابقة للبحث:

لم نجد – فيما نعلم – أي دراسة بلاغية، تخصّ آيات الإبل في القرآن الكريم ماعدا دراسات وأبحاث ومقالات بعيدة عن مجال البحث ودائرة البلاغة ومن ذلك ما يلي:

١- الإبل في القرآن والأدب العربي "العصر الجاهلي أنموذجا " ، يحيى معروف، مجلة العلوم الإنسانية العدد ١٢ ، ٢٠٠٥، وتناول ورود الإبل في الشعر الجاهلي ، وهي دراسة أدبية.

٢- آيات الحيوان في القرآن الكريم دراسة دلالية ، ٢٠٠٧ ، محمد حمدي درويش، وكما هو واضح من عنوانها تتناول الحيوان بشكل عام وليست مختصة بالإبل ، كما أن هذه الدراسة دلالية معجمية.

٣- من روائع القرآن الكريم الفرق بين الإبل ، الجمل ، الجمالة ، الناقة ، البعير، العير، د. صالح بن عبدالله التركي ، ٢٠١٧ ، وهو عبارة عن مقال قصير جدا ومختصر يتحدث فيه عن المعنى المعجمي فقط لهذه المسميات.

٤- الإبل في القرآن الكريم دراسة تحليلية ، أحمد قاسم عبدالرحمن كلية العلوم الإسلامية ، الرمادي ،٢٠١٩، وهذه الدراسة موضوعية اشتملت فقط على سورتي الأنعام والغاشية وتناولت المعنى اللغوي والتفسير للآيات الكريمة فقط وأسباب النزول.

منهج البحث:

سوف يسير منهج البحث وفق المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي، أما هيكل البحث فسيكون وفق الآتي:

أولا: مدخل: مكانة الإبل عند العرب ، واختلاف مسمياتها.

- المبحث الأول: **التناسب بين الكلمة والسياق (الجانب النظري).**
- **المبحث الثاني : التناسب بين الكلمة والسياق (الجانب التطبيقي)**
- الخاتمة. وتتضمن أهم النتائج، التي توصلت إليها الدراسة.

خامسا: الفهارس.

مدخل: **مكانة الإبل عند العرب ، واختلاف مسمياتها**.

الإبل من مخلوقات الله العظيمة التي تتجلى فيها قدرته سبحانه وتعالى، وقد خلقها الله جلت قدرته وجعلها آية للبشر، وقد ورد ذكر الإبل في القرآن الكريم، في آيات تدعو المؤمنين إلى التفكر في قدرة الله ؛ للتأمل في عظمة خلقه .

ومن الآيات الواردة في ذلك قوله تعالى:((**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**)) الغاشية "١٧"، وتحمل دعوة من الخالق المصور سبحانه وتعالى للتأمل والتفكر في كيفية خلق الإبل ، وتصويرها بهذا الشكل المعجز باعتبارها خلقا دالا على عظمة الخالق ، وكمال قدرته ، وحسن تدبيره، وقد أكرمها الله ﷻ فجعلها آية من آياته وورد ذكرها قبل السماء والأرض والجبال.

وقد أفاض المفسرون في سبب تخصيص الإبل بالتأمل والتفكر دون سائر الحيوانات في هذه الآية الكريمة ؛ فورد في تفسير الشوكاني أنها من ذوات الأربع تبرك فتحمل عليها الحمولة، وغيرهما من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم. فأراهم عظيماً من خلقه ليدل بذلك على توحيده[١].

وللإبل مكانة مميزة عند العرب حيث احتلت حيزا كبيرا من حياتهم واهتماماتهم ، وتعد من أقدم الحيوانات التي استأنسها الإنسان، فهي رفيقتهم في حلهم وترحالهم، لما حباها الله به من قدرة على الحياة في الصحراء، والتكيف مع طبيعتها القاسية ، كما امتازت بخاصية فريدة لا تتوافر لدى غيرها من الحيوانات، وهي مقدرتها على تحمُّل العطش.

ولما للإبل من مكانة عند العرب في العصر الجاهلي فقد اتخذ الشاعر العربي ناقته رفيقا ومؤنسا له في وحدته ، ومسليا له في غربته ، بل جعل منها صاحبا يخاطبه ويحاوره ويشكو له همومه وأوجاعه ، لما عرفوا

١ تفسير فتح القدير ، للشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ ، ٥/ ٥٣٨

عنها من صبرها ووفائها وحنينها ، مما جعلها موضوعا يطرقونه في شعرهم ، فوصفوها أوصافا بديعة في طباعها وحنينها ومراتعها وحب الناس لها ومنزلتها عند أصحابها ، ولا تخفى علينا المعلقات السبع التي استهلها أصحابها بحديث عن الراحلة ، وذكر صفاتها ، ومدائحهم لسرعة عدوها وجمال قوامها.

فلم يصف أحد ممن تقدم أو تأخر الناقة أحسن من وصف طرفة للناقة وصفا جمع فيه صفات خلقها وسرعتها حين يقول:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره... بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كألواح الإران نسأتها ...على لاحب كأنه ظهر برجد
نباري عتاقا ناجيات وأتعبت...وظيفا وظيفا فوق مور معبد[1]

وللإبل مسميات كثيرة دونتها المعاجم اللغوية ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، الإبل وهو اسم واحد يقع على كل الجميع، والناقة وهي الأنثى من الإبل ، والبعير ويقع على الذكر والأنثى ،والجمل وهو الذكر من الإبل ، والبكر وهو الفتي من الإبل ، إلى غير ذلك من الأسماء التي أطلقتها العرب عليه لاعتبارات كثيرة[2].

---

١ ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ،ص ٢٠

٢ انظر: فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، شرح وتقديم د. ياسين الايوبي، ص ١٩٧ -١٩٦و٢٢٦ ٢٢٧-،صبح الأعشى في صناعة الانشاء، للقلقشندي، بيروت، ٣١-٣٢ ،المخصص لابن سيدة الأندلسي ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦، ٢/٧-١٢، حياة الحيوان الكبرى ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، ١/٢٦-٣٢ .

المبحث الأول

التناسب بين الكلمة والسياق (الجانب النظري)

أ- الكلمة في البيان العربي.

للكلمة ومدلولها عند العرب مكانتها وقيمتها في الاستعمال ، فقد كان العربي يحرص على أن يتلاءم كلامه مع السياق ، ويتوافق مع المقام الذي يتحدث فيه، وينقل لنا التاريخ العربي مواقف جسدت عناية العرب بالكلمة المفردة وإيحاءاتها في المواقف المختلفة ، بل إنهم كانوا ينكرون على بعضهم عدم مراعاة الاختيار الدقيق للألفاظ التي تلائم السياق ، ولا يخفى علينا إنكار النابغة الذبياني على حسان بن ثابت بيته الشهير في سياق المدح :

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا[1]

حين قال له لقد أقللتَ جفانك وأسيافك، ما هكذا تقول، قلتَ: (لنا الجفنات)، ولو قلتَ: (الجفان)، لكان أكثر – لأن (الجفنات) جمع قلة، و(الجفان) جمع كثرة – وقلتَ: (يلمعن في الضحى)، ولو قلت: (يسطعن في الدجى) لكان أبلغ – لأن الضيف أكثر ما يكون ليلًا – وقلت: (يقطرن)، ولو قلت: (يجرين)، لكان أولى ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العرب أولوا الكلمة منزلة عالية في بيانهم ومناظراتهم.

إن عناية العرب بلغتهم تتجسد في أمور كثيرة منها كثرة المعاجم العربية ذات التصنيفات عالية الدقة ، التي حفظت كثيرا من ألفاظها على اختلاف لهجاتها ، فكانت بمثابة الكنوز لكل باحث عربي يطرق مجال البحث والتأليف في هذه اللغة الخالدة، كما أفردت كتب مستقلة لبيان جماليات المفردة في العربية عامة وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص.[2]

---

١ ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر ،١/٣٤-٣٦.

٢ انظر: الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

فالكلمة في المعاجم من الكلِمَة ، والكَلَمة : بمعنى اللفظة الواحدة .والكَلِمَة (عند النحاة) : اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع ، سواء أكانت حرفا واحدا ، أم أكثر.

وقد أولى علماء العربية الكلمة والكلام عناية كبيرة في مصنفاتهم وأوجدوا لها شروطا وفرقوا بينها وبين اللفظة والقول في الاستعمال.[1]

ومن عناية البلغاء وأرباب الفصاحة والبيان بالكلمة أنهم اشترطوا لها شروطا تزيد من رونقها في الكلام ، ومن ذلك ألا تكون ثقيلة على السمع، صعبة على اللسان، غريبة في الاستعمال، وحشية تمجها الأسماع[2]

وتصل الكلمة ذروة بلاغتها حين تكون مع مجاوراتها في السياق مطابقة لمقتضى الحال، متفقة مع مستلزمات المقام، وحالات المتلقي، فمقام الهزل كلام، ومقام الجد كلام، ومع السوقة وعوام الناس كلام. ومع كلام الملوك وأرباب الفصاحة كلام.. وهكذا.

وبلاغة الكلمة – بلا شك – التفت إليها علماء البلاغة منذ بداية التأليف البلاغي، حتى الجرجاني صاحب نظرية النظم أعطى اهتماما للكلمة المفردة والتفت إلى جمال شكلها إذ كان مدركا للجماليات التي تتضمنها المفردة وإن كان قد تخطاها باعتبارها مرحلة أولى تسبق النظم وأولى عنايته للنسق الكلي وله عبارات– كما ذهب أحد الباحثين – تدل على اعترافه بقيمة الكلمة المفردة لكنه يعبر عن ذلك بقوله " في مكانها" وهو يقترب قليلا مما نبتغي منه ، والجرجاني عندما يقول إن الكلمة المفردة ليست بليغة فهو لا

---

١ انظر :الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب سيبويه ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ١٢/١ ، الخصائص، لابن جني ، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ،١/ ٥٨.

٢انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت ،ط٣ ،١٣

ينفي عنها فصاحتها ودقة اختيارها دون غيرها من الكلمات التي تقترب من معناها ، فدقة اختيار الكلمة تزيد من جماليات النظم [١]

فالكلمات تتمايز فيما بينها في معانيها وأصواتها وأوزانها ، فسيبويه – على سبيل المثال – يتناول المصادر التي جاءت على وزن" فعلان" فيذكر (أنها تأتي للاضطراب والحركة كالغليان لأنه زعزعة وتحرك ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك)[٢]، كما يشير الفراهيدي إلى أنه " موضوع شريف لطيف ، تقول العرب : " صر الجندب " و"صرصر البازي " كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ، فقالوا " صر، صريرا " فمدوا ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر" [٣]

ويذكر ابن جني "أن صيغة فعلان تفيد الاضطراب كالغليان والفوران ، وأن صيغة الفعللة تفيد التكرير، مثل صرصر الجندب ، وأن صيغة الفعلى تفيد السرعة ، كما تحدث عما يعرف بالاشتقاق الأكبر فيرى أن مجرد الاشتراك في بعض الحروف يكفي أحيانا للاشتراك في الدلالة ويوازن بين دمث ودمثر فالأولى من دمث المكان كفرج وسهل وفيه دماثة الخلق أي سهولته والثانية : معناها السهل من الأرض"[٤]

---

١ انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني ، للجرجاني ،تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة، ط٣ ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٧، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير ، أحمد ياسوف، ، دار المكي ، ط١ ، ١٤١٥هـ -١٩٩٤ ، دمشق ، ٥٦.

٢ الكتاب: ٢١٨/٢.

٣ انظر : الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ ،٢/ ١٥٢ .

٤ الخصائص :٤٩١/١،٤٩٩،٥٠٥،٥١٦

كذلك ابن قتيبة يقول في مقدمة كتابه: "ولقد جرى في هذا المجلس كلام كثير في ذكر عيوب الرقيق فما رأيت أحداً منهم يعرف الفرق بين الوَكَع والكَوَع، والحَنَف من الفَدَع، واللَّمى من اللَّطع. فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره جعلت له حظاً من عنايتي وجزءاً من تأليفي"، فنجده [1]يفرّق بين جملة من الألفاظ يستعملها الناس بمعنى واحد، مثل الظل والفيء يقول: "يذهب الناس إلى أنهما شيء واحد وليس كذلك لأن الظل يكون غداة وعشية ومن أول النهار إلى آخره..."[2] و يجعل في أواخر "كتاب المعرفة" باباً في الأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى، وفيه يبين الفروق الدقيقة بين هذه الكلمات المتقاربة مثل "الحزم من الأرض أرفع من الحَزْن[3]".

وهذا الجرجاني يقارن بين الألفاظ في الاستعمال فيقول "ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضوع آخر" [4].

ب- الكلمة في البيان القرآني

حظي البيان الخالد بعناية تامة بحثا ودراسة وتنقيبا عن مكامن روعته وعظمة بيانه ، تلك المكامن والأسرار التي أماط الباحثون اللثام عن جوانب منها ، ووضعوا وما زالوا يضعون أيديهم على جانب عظيم من حقائقها ولطائفها .فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه على مر الدهور والأزمان ، وسيظل النبع الفياض والمنهل العذب لكل مشتغل ببلاغته وبيانه.

---

١ أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ط ٢-١٩٨٢م، ص١٢.

٢ المرجع السابق :٢٦

٣ السابق نفسه:٢٠٠

٤ دلائل الإعجاز:٤٦

وللعلماء – قديما وحديثا – جهود بارزة في دراسة بلاغة القرآن الكريم بدءا بالكلمة المفردة ، وانتهاء بالنص القرآني المشتمل على تراكيب محكمة وصور بيانية متفردة.

وحين نقف على تلك الجهود حول دقة القرآن الكريم في انتقاء كلماته ، نجد – على سبيل المثال – الخطابي يفرد فصلا كاملا يورد فيه بعض الألفاظ التي يحسب أكثر الناس أنها متشابهة في بيان مراد الخطاب و منها: العلم و المعرفة، الحمد و الشكر، القعود و الجلوس[١] ، والراغب الأصفهاني الذي وضع كتابه مفردات ألفاظ القرآن ، وتتبع فيه الدلالات الدقيقة بين الألفاظ ؛ يتوصل إلى أن للفظ القرآني خصوصية في الاستعمال لا تكون لمرادفه[٢].

ولا يخفى علينا نص الجاحظ الذي تداوله كثير من الباحثين في بحوثهم وهو ما قال فيه: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها ،وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع و العجز الظاهر و الناس لا يذكرون السغب و يذكرون الجوع في حالة القدرة و السلامة ، وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ ذكر المطر إلا في موضع الانتقام، و العامة و أكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر و ذكر الغيث"[٣]

وممن فرقوا بين الكلمات الواردة في النصوص القرآنية أبو هلال العسكري ، حيث أورد كثيرا من الألفاظ كالإنكار والجحد والحمد والشكر ، والإبلاغ والإيصال والنظر والتأمل وفرق بينها في سياقاتها المختلفة من الذكر الحكيم[٤]

---

١ بيان إعجاز القرآن ، للخطابي، تحقيق : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ،ط٣، ١٩٧٦، ٣٠

٢ المفردات :٥

٣ البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ١٤٢٣، /١/٢٦

٤ الفروق اللغوية، (الكتاب كله فروق بين ألفاظ عديدة وردت في القرآن الكريم).

واستمرت الدراسات البلاغية في تجلية قيمة الكلمة في القرآن ووظيفتها التي تنسجم مع معناها ولفظها، وتستوقفنا جهود الباحثين في العصر الحديث لعل من أبرزهم بنت الشاطئ التي تناولت هذا الجانب وطبقته على نماذج كثيرة من القرآن الكريم و انتهت بعد استقرائها لألفاظ القرآن في سياقاتها إلى أن القرآن " يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تحشد له المعاجم و كتب التفسير عددا قل أو كثر من الألفاظ "[1]

فالكلمات القرآنية تتساوق فيما بينها تبعا لتفرد كل واحدة منها ببصمة خاصة وظل متفرد حتى وإن تشابه النظم كما في تشابه ورود القصص إلا أن الكلمات تختلف تبعا لذلك.

١ انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" ، دار المعارف ، مصر ،ط٣، ٢١٤ و ٢١٥. وانظر : من بلاغة القرآن أحمد بدوي، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر ، دمشق، ١٤١٧هـ –، ط١، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ ، دار عمار، الأردن.

المبحث الثاني

التناسب بين الكلمة والسياق (الجانب التطبيقي)

وردت للإبل أسماء وصفات في القرآن الكريم في سياقات مختلفة ، وسوف يقوم هذا البحث على تتبع تلك الأسماء والصفات في سياقاتها المختلفة في محاولة للكشف عن معاني تلك الأسماء في المعاجم العربية ومعرفة علاقة تلك المعاني بالسياقات التي وردت فيها، وبعد تتبع تلك الأسماء والصفات في القرآن الكريم تم رصد اثني عشر اسما وصفة في ستة عشر موضعا من البيان الخالد ، وسوف يتم استعراض تلك الأسماء والصفات وفق ورودها مرتبة في القرآن الكريم واستجلاء ما يمكن التدليل به على روعة القرآن في انتقاء ألفاظه في سياقاتها المتنوعة.

١ – الجمل:

من أسماء الإبل الواردة في الذكر الحكيم " الجمل " ، وقد ورد في موضعين بصيغتين مختلفتين، الأولى صيغة الإفراد المذكرة "الجمل"، والثاني صيغة الجمع المؤنثة "جمالة"، أما الموضع الأول الذي ورد بصيغة المفرد فهو في سورة الأعراف، عند قوله تعالى :**(إِن الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)** الأعراف"٤٠" ، وأما الموضع الثاني الذي وردت فيه اللفظة بصيغة الجمع المؤنثة فهي قوله تعالى:**(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ) المرسلات**"٣٢-٣٣"

ومما ورد في المعاجم من معنى الجَمَل: الذَّكَر من الإبل، قيل: إنما يكون جَمَلاً إذا أَرْبَعَ، وقيل إذا أَجذع، وقيل إذا بزَل، وقيل إذا أَثْنَى، والجَمَل والناقة بمنزلة الرجل والمرأَة، الجَمَل هو زوج الناقة، الجُمَّل، بتشديد الميم، يعني الحِبَال المجموعة في قراءة ابن عباس، فأَما الجُمَل، بالتخفيف، فهو الحَبْل الغليظ، وروي عن ابن عباس أَنه قال الجِمَالات حِبَال السُّفن يجمع بعضها إِلى بعض حتى تكون كأَوساط الرجال؛ وقال مجاهد: جِمَالات حِبال الجُسور.

وقال الزجاج: من قَرأَ جِمَالات فهو جمع جِمالة، وهو القَلْس من قُلوس سُفُن البحر، أَو كالقَلْس من قُلوس الجُسور، الجامِل الجِمَال. غيره: الجامِل قَطِيع من الإِبل معها رُعْيانها وأَربابها كالبَقَر والباقِر، سمي جِمَالة لأَنها قُوىً كثيرة جُمِعت فأُجْمِلَت جُمْلة، ولعل الجُمْلة اشتقت من جُمْلة الحَبْل، الجامل: جماعة من الإِبل تقع على الذكور والإِناث، فإِذا قلت الجِمَال والجِمَالة ففي الذكور خاصة، والجَمْع أَجْمال وجِمَال وجُمْل وجِمَالات وجِمالة وجَمَائل، وقيل الجَمَالة الطائفة من الجِمَال، وقيل: هي القطعة من النوق لا جَمَل فيها، وكذلك الجَمَالة والجُمَالة؛ يقال للإِبل إِذا كانت ذُكورة ولم يكن فيها أُنثى هذه جِمالة بني فلان،؟ ورجل جُمَاليٌّ، بالضم والياء مشددة: ضَخْم الأَعضاء تامُّ الخَلْق على التشبيه بالجَمَل لعظمه)[1].

ومن تناول المفسرين لمعنى الآيتين ما جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى: (**حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**)، وهو الجمل العظيم ، لا يدخل في خُرت الإبرة ، من أجل أنه أعظم منها[2]، وفي آية المرسلات يذكر أن أولى الأقوال عنده بالصواب قول من قال :عُنِي بالجمالات الصفر: الإبل السود ؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وأن الجِمالات جمع جِمال ، نظير رِجال ورِجالات ، وبيوت وبيوتات[3].

١ انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ، مادة (ج م ل) ،٢/ ٣٦١ ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى–أحمد الزيات – حامد عبدالقادر – محمد النجار ، دار الدعوة ،١٣٦/١.

٢ تفسير الطبري المسمى : جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٣٢٠هـ –٢٠٠٠م ، ١٢ /٤٣١.

٣ انظر السابق : ٢٤ / ١٤١.

وذكر الجمل ؛ لأنه أعظم الحيوان المزاول للإنسان جثة فلا يلج إلا في باب واسع كما قال[1] ، فقد جعل لانتفاء دخولهم الجنة امتدادا مستمرا ، إذ جعل غايته شيئا مستحيلا ، وهو أن يلج الجمل في سم الخياط ، أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج الجمل – وهو البعير – في سم الخياط ، وهو أمر لا يكون أبدا[2].

والقرآن أحال على ما هو معروف عند الناس من حقيقة الجمل وحقيقة الخياط ، ليعلم أن دخول الجمل في خرت الإبرة محال متعذر ما داما على حاليهما المتعارفين[3]

ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر ، وهي الإبل السود ؛ والعرب تسمي السود من الإبل صفرا [4]

والجمالة جمع جمال جمع الجمع ، وهي الإبل[5]، وقيل سود ، والتعبير بصفر لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة . شبه الشرر حين ينفصل من النار في عظمه بالقصر ، وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه عن أعداد غير محصورة بالجمال لتصور الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة حين تأخذ في الارتفاع والانبساط فتنشق عن أعداد لا نهاية لها بالجمالات في التفرق واللون والعظم والثقل.

---

١ تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، ٥ / ٥١ ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي ، تحقيق : علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ٣٥٨/٤ .

٢ التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤، ٨ /١٢٧.

٣ انظر السابق : ٨/ ١٢٨.

٤ الجامع لأحكام القرآن ، شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،ط٢ ، ١٣٨٤،١٩٦٤، ١٦٤/١٩.

٥ البحر المحيط:٧٧/١٠.

"تشبيه له في حجمه ولونه وحركته في تطايره بجمالات صفر . وضمير "كأنه" عائد إلى شرر ، والجمالات : بكسر الجيم جمع جمالة وهي اسم جمع طائفة من الجمال ، أي : تشبه طوائف من الجمال متوزعة فرقا ، وهذا تشبيه مركب لأنه تشبيه في هيئة الحجم مع لونه مع حركته . والصفرة : لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره"[1]

وبعد تتبع المعاني الواردة في المعاجم لكلمة الجمل نجد أنها تدور حول صفتي الذكورة والضخامة ،وعند تأمل سياق الآيتين اللتين وردت فيهما كلمتا " الجمل وجمالة" نلحظ أنهما في سياق العذاب ، فالأولى حديث عن استحالة دخول الكفار الذين كذبوا بالله الجنة والأخرى وصف للشرر المتصاعد من نار جهنم نعوذ بالله منها في الآخرة، كذلك أيضا نجد أن الأولى تتضمن معنى استحالة دخول الكفار الجنة مثلما يستحيل دخول الجمل المعروف بضخامته في خرق الإبرة المتناهية الصغر، والثانية تتضمن ضخامة صورة الشرر المتطاير من نار جهنم ، والذي شبه في الآية الكريمة بشكل الجمل بما فيه من حجم ولون وشكل ،فكيف بنار انطلق منها شرر بهذه الضخامة، وهذا التصور قريب بلا شك من الخيال العربي لأنه مشتق من بيئته، فإذا ما تشكلت هذه الصورة الحسية أمام نظر القارئ تحققت صورة الاستحالة الذهنية في عقله الظاهر والباطن.

٢- البعير

وردت كلمة "بعير" في موضعين من سورة يوسف قال تعالى: **(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ)** يوسف " ٦٥" وقال تعالى: **(قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ)** يوسف "٧٢"

١ التحرير والتنوير: ٤٣٧/٢٩

جاء في المعاجم العربية حول معنى كلمة " بعير" البعير : الجمل البازل ، وقيل : الجذع ، وقد يكون للأنثى، حكي عن بعض العرب : شربت من لبن بعيري وصرعتني بعيري أي ناقتي ، والبعير من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس ، يقال للجمل بعير وللناقة بعير . قال : وإنما يقال له بعير إذا أجذع . يقال : رأيت بعيرا من بعيد ، ولا يبالي ذكرا كان أو أنثى ، والبَعِيرُ : ما صَلح للرُّكوب والحَمْل من الإبل ، وذلك إذا استكمل أَربع سنوات ويقال للجمل والناقة: بَعِير[1]، والبعير في الآيتين الجمل في قول أكثر المفسرين[2].

ويظهر أن السياق في الآيتين سياق تجارة وما تحويه من بيع وشراء ووزن وكيل، فإخوة يوسف قد ساروا إلى مصر لجلب الميرة وهي الأطعمة التي تحمل من بلد إلى بلد ، وفي إضافة الأوزان إلى كلمة البعير ما يؤكد ذلك يقول الراغب الأصفهاني في معنى قوله تعالى "كيل بعير أي:" مقدار حمل بعير" [3]والبعير هو ما اعتاد العرب استخدامه في مثل هذه الأمور.

٣-الناقة

وردت كلمة الناقة في سبعة مواضع ،وهي على الترتيب وفق ورودها في القرآن الكريم: **قال تعالى:**

(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) الأعراف "٧٣"

١انظر: لسان العرب: مادة (ع ي ر)،٤٤٤/١ القاموس المحيط ، الفيروزبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م ، المعجم الوسيط :٦٣/١.

٢ الطبري: ١٦٢/١٦ ، القرطبي: ٩/ ٢٣١، البحر المحيط: ٦/ ٢٩٦ ، روح المعاني: ٦٧٩/٥

٣ المفردات :٧٣٠

(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) الأعراف "٧٧".

(وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ)هود "٦٤"

(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّاأَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)الإسراء"٥٩"

(قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)الشعراء "١٥٥"

(إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ) القمر"٢٧"

(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)الشمس "١٣"

والناقة – في المعاجم – تطلق على الأُنثى من الإبل، وقيل: إنما تسمى بذلك إذا أَجذعت[1]

وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يومًا في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله، وذكرهم، وحذرهم، ووعظهم، وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة هناك ناقة من صفتها كيت وكيت، وذكروا أوصافًا سموها ونعتوها، وتعنتوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة، من صفتها كذا وكذا. فقال لهم النبي صالح عليه السلام: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به. قالوا: نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلى لله ﷻ ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا.

فأمر الله ﷻ تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء، على الوجه المطلوب الذي طلبوا، أو على الصفة التي نعتوا، فلما عاينوها كذلك، رأوا أمرًا

١ لسان العرب، مادة (ن و ق) ١٤/ ٣٣٣، المعجم الوسيط: ٩٦٤/٢

عظيمًا، ومنظرًا هائلًا، وقدرة باهرة، ودليلًا قاطعًا، وبرهانًا ساطعًا، فآمن كثير منهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم، وعنادهم[1].

وبناء على معنى الناقة في المعاجم وما روي في قصة صالح عليه السلام في التفاسير وكتب القصص القرآني من صفات للمعجزة التي طلبها قوم صالح كبرهان على صدق دعوته يتبين سر اختيار السياق الكريم لهذه الكلمة في هذه القصة دون غيرها من بقية الأسماء وما يحقق التوافق التام مع ما طلبه قوم ثمود من صفات لا تكون إلا في الأنثى كونها ناقة عشراء طويلة ،والعشراء في كلام العرب تعني الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر[2]، وطالما كان هذا طلب من أولئك القوم في مقام التحدي جاء اللفظ المتوافق مع ذلك الطلب.

٤-الإبل

وقد وردت في موضعين حيث جاءت في قوله تعالى: **(وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**الأنعام "١٤٤"

وقوله تعالى:**(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)** الغاشية "١٧"

والإبِلُ : الجمال والنُّوق ، لا واحد له من لفظه[3]، والإبل أغلى ثمناً وأغنى نفعاً في الرحلة، وحمل الأثقال عليها وأصبر على الجوع والعطش وأطوع وأكثر

١ البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ ،١/١٥٠وما بعدها.

٢ لسان العرب، مادة (ن و ق) ١٤/ ٣٣٣، القاموس المحيط مادة (ن و ق)

٣ المعجم الوسيط، :٣/١، لسان العرب مادة (أ ب ل) ٤٧/١

انقيادًا في الإناخة والإثارة[1] ،والإبل . كما قال الراغب . يقع على البُعْران الكثيرة ولا واحد له من لفظه»[2]

وفي التفاسير في معنى آية الغاشية (أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلَقها، وسخرها لهم وذَلَّلها، وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار)[3]، ويذكر الرازي (أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعاً في قلب العرب ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره)[4]

وبتأمل السياقات الواردة فيها هذه الكلمة يتجلى سر ذلك التناسب بين الكلمة وسياقها ، فسياق آية الأنعام تفصيل للأنعام التي امتن الله بها على عباده ومن جملتها الإبل بجنسيها لذا حسن موقع هذه الكلمة في هذا السياق ، أما آية الغاشية فالسياق فيها سياق اعتبار وتأمل ، والاعتبار سيان في ذكر الإبل وأنثاه متوافق مع سياق الآيات الأخر بالاعتبار في خلق السماء والأرض والجبال!! يقول الزمخشري:(قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم؛ فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم)[5] ، وأن (جميع

---

١ البحر المحيط: ٢٤٢/٤

٢ المفردات: ٨

٣ الطبري، ٣٣٨/٢٤، القرطبي ، ٣٥/٢٠، فتح القدير : ٥/ ٥٢٤ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي ، تحقيق : محمد عبدالله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر ، ط٤ ، ١٤١٧هـ –١٩٩٧ ، ٢٤٦/٥ البحر المحيط: ٤٦٤ /١٠

٤ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جارالله الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ،٧٤٥/٤

الأجسام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم)[1].

٥- **العير**

وردت كلمة العير في ثلاثة مواضع من سورة يوسف في قوله تعالى: **(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)** يوسف"٧٠" **وقوله (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)** يوسف "٨٢" **وقوله: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)** يوسف "٩٤"

والعير كما وردت في المعاجم العربية مؤنثة بمعنى : القافلة ، وقيل : العير الإبل التي تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها . وفي التنزيل : ولما فصلت العير، العير : كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال ، فهو عير، ولا تكون عيرا حتى يمتار عليها . وحكى الأزهري عن ابن الأعرابي قال: العير من الإبل ما كان عليه حمله أو لم يكن ، العير : الإبل بأحمالها فعل من عار يعير إذا سار، والعير القوم الذين معهم أحمال الميرة ، وذلك اسم للرجال والجمال الحاملة لعيرة وإن كان قد يستعمل في كل واحد دون الآخر[2]

ويذكر المفسرون سبب تسميتها عيرا كونها تذهب وتجيء[3] ، والعير ما امتير عليه من الحمير والإبل والبغال والغالب عند الجمهور أنها الإبل[4]

ويتجلى من تتبع معنى الكلمة في المعاجم والتفاسير أنها تستخدم عند العرب بمعنى قافلة الإبل التي يُحْمَلُ عليها، وفي سياق الآيات الثلاث مواضع حديث عن القافلة، فتأمل روعة الاختيار القرآني للكلمات متجلية في هذه السياقات الثلاث كما تجلت في غيرها.

---

١ التفسير الكبير :١٤٤/٣١

٢ لسان العرب، مادة (ع ي ر)، ٩/ ٤٩٥ القاموس المحيط، مادة (ع ي ر)، المفردات: ٣٥٣

٣ الكشاف،٤٩٠/٢ التفسير الكبير:٤٨٦/١٨

٤ البحر المحيط، ٣٠٠/٦ الألوسي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٦٩/١٠ القرطبي، ٢٣٠/٩ ، التحرير والتنوير: ٢٨/١٣

٦- البُدن

لم ترد هذه الكلمة في البيان الخالد إلا في موضع واحد هو قوله تعالى: **(وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** الحج "٣٦"

والبدن في المعاجم العربية من رجل بادن : سمين جسيم، والبادن : الضخم ، وبدن الرجل ، بالفتح ، يبدن بدنا وبدانة ، فهو بادن إذا ضخم ، ورجل بادن ومبدن وامرأة مبدنة : وهما السمينان، والبدنة من الإبل والبقر، البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ، والجمع بدن وبدن، ويجوز أن تكون سميت بدنة لعظمها وضخامتها ، ويقال : سميت بدنة لسنها . والبدن : السمن والاكتناز، لبدنة ، بالهاء ، تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر مما يجوز في الهدي والأضاحي ، وهي بالبدن أشبه ، ولا تقع على الشاة ، سميت بدنة لعظمها وسمنها ، وجمع البدنة البدن[١].

وتذكر التفاسير أن البَدَن: هو الضخم من كلّ شيء ، والمعنى أن الإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله[٢]، وهذا الاسم يختص بالإبل[٣]، وقد غلب اسم البدنة على البعير المعيّن للهدى خاصة ؛ لأنها أفضل في الهَدي لكثرة لحمها [٤]

ولأن السياق يتحدث عن شعائر الله المعظمة في الحج فقد اختار النظم القرآني هذه الكلمة التي تعطي في ضوء معناها المستخلص من اللغة أتم وأجود ما يمكن تقديمه كهدي وقربة لله تعالى في أشرف موسم ومكان على وجه الأرض .

---

١ لسان العرب، مادة (ب د ن) ٣٤٦/١ ، المعجم الوسيط :٤٤/١، القاموس المحيط ، ، مادة (ب د ن) تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧ م ، ٧٧/٥

٢ انظر: الطبري: ٦٣٠/١٨.

٣ التفسير الكبير : ٢٢٥/٢٣ وانظر: الكشاف: ١٥٧/٣، القرطبي: ٦١/١٢ ، نظم الدرر، ٤٩/٣-٥٠، روح المعاني: ٩/ ١٤٩

٤ التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٦٢.

٧- الهيم

وردت كلمة الهيم مرة واحدة في قوله تعالى: **(فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)** الواقعة "٥٥"

وفي معنى الهيم تذكر المعاجم أنها من قولهم هامَت الناقةُ تَهِيم : ذهَبَت على وجِهها لرَعْيٍ كهَمَتْ ، والهُيامُ : كالجنون من العشق ، الهُيامُ نحو الدُّوارِ جنونٌ يأْخذ البعيرَ حتى يَهْلِك ، يقال : بعيرٌ مَهْيُومٌ . والهَيمُ : داءٌ يأْخذ الإبلَ في رؤوسها ، هامَ في الأَمر يَهِيم إذا تحيّر فيه، وقوله عز وجل : فشارِبونَ شُرْبَ الهِيم ، هي الإبلُ العِطاش، و الهِيمُ الإِبلُ التي يُصيبها داءٌ فلا تَرْوَى من الماء ، واحدُها أَهْيَمُ ، والأُنثى هَيْماء.[١]

ويذكر الطبري في معنى الكلمة في الآية الكريمة أن الإبل يأخذها العُطاش، فلا تزال تشرب حتى تهلك[٢].

ويزيد الرازي في تفسيره للآية معللا عدم حصول اللذة والغاية من كثرة شرب الماء ، إذ الأهيم – عادة– إذا شرب الماء الكثير يضره ولكنه في الحال يلتذ به ؛ بأن ذلك لبيان زيادة العذاب، فهم يلزمون بشرب الحميم ولا يكتفي منهم بذلك الشرب بل يلزمون أن يشربوا كما يشرب الجمل الأهيم الذي به الهيام، أو هم إذا شربوا تزداد حرارة الزقوم في جوفهم فيظنون أنه من الزقوم لا من الحميم فيشربون منه شيئاً كثيراً بناء على وهم الري[٣]

والداء الذي يصيب الإبل يورثها حُمى في الأمعاء فلا تزال تشرب ولا تروَى، أي شاربون من الحميم شرباً لا ينقطع فهو مستمرة آلامه[٤].

والكلمة بهذا المعنى – بلا شك – ملائمة تمام الملاءمة للسياق ؛ فالسياق سياق عذاب فالمعذب فيه يقاسي عذابين ،عذاب الحميم وعذاب شرب الحميم اللامتناهي – نعوذ بالله من حالهم وشرابهم–.

---

١ لسان العرب، مادة (هـ ي م)١٥/ ١٨٣.

٢ الطبري: ١٣٤/٢٣

٣ انظر: التفسير الكبير : ٤١٥/٢٩، نظم الدرر : ١٩/ ٢١٨،

٤ التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣١٠

٨- **العِشار**

وردت كلمة العشار مرة واحدة في البيان المعجز عند قوله تعالى: **(وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ)** التكوير "٤"

والعِشَارُ بالكسر جمع عُشَرَاءَ كفقهاء ، وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر [١].

وتذكر التفاسير أن أهوال يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه . والناقة العشراء التي كانت أنفس أموالهم ، وكان يحافظون عليها حتى في أشد حالات الخوف ، لم يعبئوا بها ، ولم يهمهم أمرها من شدة ما يرون من أهوال آنذاك.[٢]

وتساوق الكلمة مع السياق جلي لكل متأمل ، فكيف يذهل العربي عن العشار، إلا في موقف تتخلى فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع ذات الحمل حملها!!

---

١ انظر: لسان العرب:٩/ ٢١٩، مختار الصحاح ، للرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ١/ ٢٠٩، القاموس المحيط ، مادة (هـ ي م)

٢ الطبري : ٢٤٠/٢٤، القرطبي: ٢٢٩/١٩ ،نظم الدرر: ٢٧٧/٢١ ، البغوي: ٢١٥/٥ ، روح المعاني :١٥/ ٢٥٥ ، التحرير والتنوير:١٤٢/٣٠ ، تفسير الوسيط:٤٢٨/٤ ، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، ٩١٢.

الخاتمة

بعد دراستنا لآيات الإبل في القرآن الكريم من حيث علاقتها بالسياق الواردة فيه ، والفروق الدقيقة فيما بينها، نخلص إلى النتائج الآتية:

١- أن كلمة الجمل لم ترد في القرآن الكريم إلا مرتين وكلاهما في سياق العذاب ، سواء أكان ذلك السياق حديث عن مصير الكافرين ،أم كان وصفا لنار العذاب .

٢- أن كلمة البعير لم ترد في القرآن الكريم إلا في سياق التجارة وما تحويه من بيع وشراء ووزن وكيل ، وفي إضافة الأوزان إلى كلمة البعير ما يؤكد ذلك.

٣- يتبين سر اختيار السياق الكريم لكلمة " الناقة " في قصة قوم صالح دون غيرها من بقية الأسماء بما يحقق التوافق التام مع ما طلبه قوم ثمود من صفات لا تكون إلا في الأنثى كونها ناقة عشراء طويلة ، وطالما كان هذا طلب من أولئك القوم في مقام التحدي جاء اللفظ المتوافق مع ذلك الطلب.

٤- بتأمل السياقات الواردة فيها كلمة الإبل يتجلى سر ذلك التناسب بين الكلمة وسياقها ، فسياق آية الأنعام تفصيل للأنعام التي امتن الله بها على عباده ومن جملتها الإبل بجنسيها لذا حسن موقع هذه الكلمة في هذا السياق ، أما آية الغاشية فالسياق فيها سياق اعتبار وتأمل ، والاعتبار سيان في ذكر الإبل وأنثاه متوافق مع سياق الآيات الأخر بالاعتبار في خلق السماء والأرض والجبال!!

٥- تستخدم العرب كلمة العير بمعنى قافلة الإبل التي يُحْمَلُ عليها، وفي سياق الآيات الثلاث التي وردت فيها هذه الكلمة مواضع حديث عن القافلة.

٦- السياق الذي وردت فيه كلمة البدن يتحدث عن شعائر الله المعظمة في الحج فقد اختار النظم القرآني هذه الكلمة التي تعطي في ضوء

معناها المستخلص من اللغة أتم وأجود ما يمكن تقديمه كهدي وقربة لله تعالى في أشرف موسم ومكان على وجه الأرض.

٧- لم ترد كلمة الهيم في القرآن إلا مرة واحدة والكلمة بمعناها – بلا شك – ملائمة تمام الملاءمة للسياق ؛ فالسياق سياق عذاب فالمعذب فيه يقاسي عذابين ،عذاب الحميم وعذاب شرب الحميم اللامتناهي.

٨- كلمة العشار في البيان الخالد لم ترد إلا في سياق أهوال يوم القيامة ، وفي اختيار هذه الكلمة بالذات دون سائر الكلمات تجسيد لشدة تلك الأهوال التي تجعل العربي الذي كان حريصا أشد الحرص على أنفس حلاله يتخلى عنها بكل سهولة .

قائمة المصادر والمراجع

١- تفسير فتح القدير ، للشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ .
٢- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٣- انظر: فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، شرح وتقديم د. ياسين الايوبي.
٤- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، للقلقشندي، بيروت.
٥- المخصص لابن سيدة الأندلسي ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦.
٦- حياة الحيوان الكبرى ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ .
٧- ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر.
٨- الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
٩- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .
١٠-الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب سيبويه ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨. ١١- الخصائص، لابن جني ، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية.
١١-الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ،ط٣.

١٢- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، للجرجاني ،تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة، ط٣ ، ١٤١٣هـ .
١٣- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير ، أحمد ياسوف، ، دار المكي ، ط١ ، ١٤١٥هـ -١٩٩٤ ، دمشق.
١٤- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤.
١٥- أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ط ٢- ١٩٨٢ م .
١٦- بيان إعجاز القرآن ، للخطابي، تحقيق : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ،ط٣.
١٧- البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ١٤٢٣.
١٨- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" ، دار المعارف ، مصر ،ط٣ .
١٩- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر ، دمشق، ١٤١٧هـ -، ط١.
٢٠- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ ، دار عمار، الأردن.
٢١- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢٢- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى-أحمد الزيات – حامد عبدالقادر – محمد النجار ، دار الدعوة.
٢٣- تفسير الطبري المسمى : جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ،تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٣٢٠هـ -٢٠٠٠م .
٢٤- تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٥هـ.

٢٦-التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

٢٧-الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤،١٩٦٤

٢٨-القاموس المحيط، الفيروزبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٨، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م

٢٩- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧.

٣٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي ، تحقيق : محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، ط٤، ١٤١٧هـ -١٩٩٧.

٣١-التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .

٣٢-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جارالله الزمخشري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .

٣٣- الألوسي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

٣٤-تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧ م ، ٧٧/٥

٣٥- مختار الصحاح ، للرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .